((المدارس الحديثية))

الدراسات العليا /الدكتوراه الفصل الثاني للعام الدراسي ٢٠٢٣-٢٠٢٤

المحاضرة الثالثة : المدرسة الحديثيّة في الحرمين(مكة والمدينة) وخصائصهما

مدرس المادة : أ.د. أنور فارس عبد

المدرسة الحديثيّة في الحرمين(مكة والمدينة)

مدخل:

لا بدّ من الحديث عن المدرسة الحديثيّة في الحرمين مكة والمدينة ؛ إذْ يَهْدِفُ إلى إبراز جَوانبَ عِلميّةٍ في حياةِ جِلَّةٍ منَ الصّحابة المكثِرين مِن الحديث عَن رَسُول الله ﷺ، والّذين يمثّلون المحورَ الأساس للمدرسةِ، مِنْ حيثُ إنّ ذلك يُسْهم في كَشْف المعالِمِ الرّئيسَةِ الّتي تحددّ أهمّ أُطُرِ هذه المدرسةِ الّتي بَرزتْ من خلالها أهمُّ المسائل الحديثيّة والمرويّاتِ الأثريّة المسنَدة إليها.

س) ما هي اسباب تفاوت رواياتِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ كثرةً وقلّةً؟

الجواب:

وتفاوت رواياتِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ كثرةً وقلّةً ، عائدٌ إلى أمورٍ منها :

- تَقَدّم إسلام الصَّحابِي أو تأخّرُه؛ فالمتقدِّم يَحظى بأكبر فُرْصَةٍ للرّواية عن النَّبي ﷺ لا يجدُها من تأخَّر إسلامُه عادةً.
- تأخُّر وفاة الصَّحابيّ أو تقدّمها؛ فالّذي تتأخَّر وفاته يحتاج النّاس إلى رواياته، فَيروون عنه كثيراً؛ كجابر بن عبد الله الّذي كانت وفاتُه (ت٧٣هـ) وكان التّابعون على شَغَفٍ بمعرفةِ سنّة نبيّهم ﷺ والصَّحابة الّذين بين ظَهرانِيهم وقْتَئِذٍ قلّةٌ، فَحملهم هذا الشَّغَفُ وَقلّة الصَّحابة على الاستكثار من الرِّواية عَنه.

- تَفرّغ الصّحابي لمجالسةِ النّبي ﷺ ومُصاحَبتِه ، أو عَدمُ تفرُّغه لذلك، فأكثرُ الصَّحابة كانوا أصحابَ تجارةٍ أو زراعَةٍ، وتَفرّغ طائفَةٌ منهم لملازمة النّبي ﷺ ومصاحبته، كأبي هُريرة وعبد الله بن عُمر وأنس بن مالك، وعائشة، رضي الله عنهم.
- مَوطنُ إقامةِ الرَّاوي؛ فَمن عاش في بلدٍ تُعمل إليه الْمُطِيّ وتَكثر الرّحلات صَوْبَه، فإنّه يَنتشر من علمه في الأمصار، وتتوزَّع مرويَّاتُه في الآفاق ما لا يحصل لمن كانت حياتُه في بلدٍ مغمور لا يجد من أسباب الرِّحلة إليه إلاَّ قليلاً، فلذلك انتشرَت عُلوم من عاشوا في الْحَرَمَيْن أكثر من غيرهم في الجملة.
- كَثرةُ تلاميذِ الرَّاوي، وهمَّتُهم في حمل علمه ونَشره، فمن حظي بكثرة التّلاميذ ذوي همم عاليةٍ في نشر العلم وأدائه، فإنه يفوق غيره ممن لم يكن مثله في كثرة التلاميذ، كأبي هريرة ﷺ مثلاً في الصّحابة، والإمامين ابن شهاب الزّهري، ومالك بن أنس فيمن بعدهم.
- تَفاوتُ الصَّحابة في الحفظ وضَبط الصَّدر، فأكثرُهم حفظاً أبو هريرة ﷺ لِمكان دعاء النّبي ﷺ له بذلك ، وَقد وصف عُمَر ﷺ حالَ الصَّحابة مِن حفظِ الحديث فقال : ((قام فينا النّبي ﷺ مقاماً فَأخْبَرَنَا عَن بَدْءِ الخلق، حَتّى دخل أهل الجنّةِ منازِلَهُم وأهلُ النّار منازِلَهم، حَفظَ ذلك من حَفِظَه، ونَسِيَه من نَسِيَه)) . ويقول حذَيفة بن اليَمَان ﷺ : ((قَام فِينا رسولُ الله ﷺ مَقَاماً فَما تَرك شيئاً يكون في مَقامه ذلك إلى قِيام السّاعة إلاَّ حدّث به، حَفِظَهُ مَن حَفِظه، ونَسِيَه من نَسِيَه، قد عَلِمَه أصحابي هؤلاء، وإنّه لَيكون مِنه الشّيء قَد نَسيتُه، فَأراه فأَذْكُره كمَا يذكر الرّجل وجْهَ الرّجل إذَا غاب عنه، ثمّ إذا رَآه عَرَفه)) .

أثرُ مدرسة الحديث في مكّة والمدينة على الوافدين عَليهمَا

ومن رَحَل منهما إلى بَعض الأمصَار الإسلاميَّة

الرحلة أهدافها ونتائجها

المدخل :

حث الإسلام على طلب العلم، وجعل سلوك طريقه سلوكاً لطريق الجنة، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((... ومن سلك طريقاً يَلتمس فيه علماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنة)).

بل جعل الإسلامُ خروجَ المرء لطلب العلم نظيراً لخروجه للجهاد في سبيل الله، قال تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُون لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَولاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِروا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون**﴾.

فقد أَوَّلَ هذه الآيةَ الإمامُ الحافظ الثَّبْتُ حَمَّاد بن زيد بن درهم الْبصريّ بالرجل يَرحَل في طلب العلم والفقه ويرجع إلى من وراءه فيعلِّمُهم إيَّاه.

<u>وللرّحلة العلميَّة عند أهل الحديث أَهْدَافٌ وَنَتَائِجُ:</u>

س) عدد أهم الاهداف للرِّحلة العلميَّة عند أهل الحديث؟

<u>فمن أهدافها :</u>

١- سماعُ الرِّواية بِعُلُوٍّ من راويها الأصليّ :

من أمثلة ذلك : رحلةُ جابر بن عبد الله ﷺ، إلى الشّام لسماع حديثٍ بلَغه عن عَبْد الله بن أُنَيس ﷺ.

وكان التّابعون بالبصرة يَسْمَعُون مرويّات الصَّحابة القاطِنِين بالمدينة، فلا يَقنَعُون حتَّى يرحلُوا إليهم لسَماعها منهم بِعُلُوٍّ :

قال أبو العالية رفيع بن مهران الرِّيَاحي : ((كُنّا نَسمع بالرّواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فَلَم نَرْضَ حتّى ركبنا إلى المدينة فَسَمِعناها من أفواههم)).

فَلم يكتف أبو العالية وَمن معه بأخذ روايات الصَّحابة بواسطةٍ، وإنما تكلَّفوا السَّفر إلى المدينة لسماعها مِنهم مشافهَةً، ولو أنّهم لم يرحلوا لَمَا تحقَّق لهم لقاءُ الصّحابة، ولما رَحلوا حَصَّل لهم مرادُهم بالرِّحلة، وثبت لهم شَرفُ الأخذ عن الصّحابة وضوان الله عليهم أجمعين.

قال حرب بن إسماعيل الكرماني : سُئل أحمد عن الرّجل يطلب الإسناد العالي قال : ((طلب الإسناد العالي سُنّة عمّن سَلَف؛ لأنّ أصحاب عبد الله كانوا يَرحَلُون مِن الكوفة إلى المدينة، فيتعلّمون مِن عُمر ويَسْمَعون منه)).

٢- لقاء الشيوخ ومذاكرتهم :

يقول الخطيب البغدادي : ((المقصودُ في الرِّحلة في الحديث أمران :

أحدهما : تحصيلُ علوِّ الإسناد، وقِدَم السّماع.

والثّاني : ((لقاءُ الحفاظ، والمذاكرة لهم ، والاستفادة عنهم. فإذا كان الأمران موجودَيْن في بلد الطّالب ، ومعدومَيْن في غيره، فلا فائدةَ في الرّحلة، والاقتصار على ما في البلد أَوْلى)).

ثمّ أسندَ أبو بكر الخطيب، عن سعيد بن داود الزّنْبَري، قال : سمعتُ مالكَ بن أنس يقول لابن وَهب : ((اتق الله ، واقتَصِر على عِلْمك ، فإنّه لم يَقتصر أحدٌ على عِلْمه إلاّ نَفع وانتفعَ، فإن كُنت تريد بما تطلب ما عند الله فقد أَصَبْتَ ما يُنتفع به، ويَنفع الله به أُمَماً ، وإن كنتَ إنّما تريد بما تعلَّمتَ طلبَ الدّنيا فليس في يدك شَيءٌ)).

وأسند عن أبي مُسهر عبد الأعلى بن مسهر الشّامي أنّه قال : ((يَنبغي للرّجل أن يقتَصرَ على علم بلده، وعلمِ عالِمِه، فلقد رأيتني أقتصر على عِلْمِ سعيد بن عبد العزيز فما أفتقر معه إلى أحد)).

ثمّ قال الخطيب : ((وأمّا إذا كان الأمران اللَّذان ذكرناهما موجودَيْن في بلد الطَّالب وفي غيره، إلاّ أنّ ما في كلِّ واحدٍ من البلدين يختصُّ به، مثلُ أن يكون عِرَاقياً وفي بلده عالِي أسانيدِ العراقيّين وحفَّاظُ رواياتها والعلماءُ باختلافها، وليس ذلك في غيره. وبالشّام من علوم أسانيد الشَّامِيّين ، ومن أهل المعرفة بأحاديثهم مَا ليس عند غيرهم فالمستحبّ للطّالب الرّحلة لجمع الفائدتَيْن، من عُلُوّ الإسنادَيْن وعلم الطَّائفَتَيْن، لكن بعد تحصيله حديثَ بلدِه، وتمهُّرِه في المعرفة به)).

س) عدد أهم الفوائد للرِّحلة العلميَّة عند أهل الحديث؟

<u>وتتحقّق من الرّحلة فوائدُ ونتائجُ طيبّة، من ذلك :</u>

١- تفرّق علم الرِّجل في الأمصار :

كثرةُ رحلة العالِمِ عامِلٌ كبير لتَفَرّق علْمِه في الأمصار، فما يحلُّ ببلدٍ إلاّ ويأخذ عنه أهلُ ذلك البلد وَيَسْتَفيدون مِن عِلْمه، ولعلّه قد لا يتيسّر لكثير من أهل تلك البلاد الرّحلَةُ إليه ولو لم يَرحل هو إليهم لخسرُوا علْمَه، ولم يَنتشر عندهم. ولم يتفرّق علمُ الصحابة في الأمصار الإسلاميّة إلا بسببِ رحلاتِ كثير منهم إليها، واستيطانِهم لَها، وخرُوج بعضهم للفتوحَات والمرابطة بالثّغور، فانتشر عِلْمُهم في تلك الأماكن، وأفاد النّاسُ منهم.

وهذا سفيان الثّوري ـ رحمه الله ـ لكثرة رَحَلاتِه، وتنقّلاته مِن بلدٍ إلى آخر تَفَرّق علمُه في الأمصار ، وكثر تلاميذه والآخذون عنه؛ قال عليّ بن المديني : ((ما بَدَّد في الإسلام أحدٌ حديثَه في الأمصار تَبْديدَ الثَّوريّ؛ فإنّه حدّث بالبصرة ما لم يحدِّث بالكوفة ـ وهي بَلَدُه ـ وحَدَّث بالشّام ما لم يُحدِّث بالعراق، وحَدَّث بالعراق، وحدَّث باليمن ما لم يحدث بالعراق ولا بالشّام، وحدّث بالرَّيّ ما لم يحدِّث بغيرها من الأمصار)).

٢- توسيع دائرة الرّواية :

من النّتائج المصاحِبة للرِّحلة خروجُ الرّواية من الإقليميّة أو المحليّة إلى الشموليّة، فيكثر للطّالب شيوخُه، وتَتَعدَّد مخارِجُ علمه، وتَكثر طرقُ الرواية عنده، فَتَتَنَوَّعُ ـ تبعاً لذلك ـ ثقافتُه، ويكون عنده ما ليس عند غيره

ممن لم يَرْحل مثلَ رحلته، ولهذا السّبب قَسَّم الرّامهرمزي الرَّاحلين إلى عدَّة طبقاتٍ، وصنّفهم إلى الرَّاحلين الّذين جمعوا بين الأقطار، ورَحلوا إلى اليمن، والعراق، ومصر، والجزيرة، والشّام، وغيرها ، والرَّاحِلين الّذين قصدوا ناحيةً واحدةً لِلِقاء مَنْ بها، كالزّهري الّذي قصد الشّام لِلِقاء عطاء بن يزيد، وابن مُحَيْريز، وابن حَيْوة، وغيرهم، وكيحيى بن أبي كثير الذي رَحَل إلى المدينة للقَاءِ من بها من أولاد الصّحابة، والشّافعي الّذي رحل إلى المدينة أيضا لِلِقاء مالكٍ بن أنس، وغيرهم.

٣- تحصيل بعض المتون الحديثية :

مِن فوائد الرّحلة أيضاً، تحصيلُ بعض المتون الحديثيّة التي لا تُوجد في بلدِ الرَّاوي، فيجدها في بلدٍ آخر، ولولا الرّحلةُ ربّما ما كان ليحصِّلها وهو في بلده، وهذا الإمام الزّهري رحمه الله تعالى مع إمامته في الحديث وجَمعه لحديثِ أهل المدينة، إلا أنّه في رحلتِه إلى الشّام سمع ما لم يَسمعه من مشايخه المدنيّين، فقد قال سفيان بن عيينة : حدّثنا الزّهري، أنه سمع من أبي إدريس الخولاني، عن أبي ثَعلبة الخشني : أنّ رسول الله ﷺ نهى عن كلِّ ذي نابٍ من السّباع)).
قال الزّهري : ((ولم أسمع هذا الحديثَ حَتّى أتيتُ الشّام)).
وقال اللّيث بن سعد حدّثني يونس، عن ابن شهاب ، قال : ((لَم أسمع ذلك من أحدٍ من علمائنا بالمدينة)).
وفي لفظٍ قال : ((ولم أسمع ذلك من علمائنا بالحجازِ حَتَّى حدَّثني أبو إدريس الخولانيّ، وكان رجلاً من فُقهاء أهل الشَّام)).

٤- تبادُل الفوائد بين العلماء :

من نتائج الرّحلة وفوائدها ما يحصُل فيها بين العلماء من لقاءٍ وتبادلٍ لفوائد، وهذا أكثر ما يكون في الرّحلة إلى الحجّ، حيثُ كانت المشاعر ملتقىً للعلماء مِن كلّ فجٍّ من أقطار العالم الإسلامي :

وهذا إبراهيم بن المنذر الأسدي المدني (ت٢٣٠هـ) يلحّ عليه الإمامُ ابن المديني أن يُخرج إليه كتابَه عن الوليد بن مسلم، ويُسمعَه إيَّاه، على ما بين الرّجلين مِن الْبَون الشّاسِع في العلم وسعة الرواية؛ إذ إبراهيم بن المنذر لا يُدانِي ابنَ المديني في معرفة الحديث وسعةِ روايته، ولا يُقاس عليه في الخبرة بِرجاله ونَقْد رواته، لكن لكون ابن المنذر تَمكّن من سماع الوليد في رحلته إلى الحجّ وفات هذا ابنَ المديني ألَحّ أن يَسمعه منه، قال يعقوب بن سفيان الفَسوي : سمعت إبراهيم بن المنذر قال : قدمت البصرةَ فجاءني عليّ بن المديني ، فقال : ((أوّل شيءٍ أطلب، أَخْرِج إلَيّ حديثَ الوليد بن مسلم))، فقلتُ : يا ابن أمّ! سبحان الله! وأين سماعي من سَماعِك؟ فجعلتُ آبَى، ويلِحّ، قلت : أخبرني إلحاحُك هذا ما هُو ؟ قال : ((أَخْبرك الوليدُ رجلُ الشَّام، وعنده علمٌ كثير ، ولم أَسْتَمْكِنْ منه، وقد حدّثكم بالمدينة في المواسِم، وتَقَع عندكم الفَوَائِدُ؛ لأنّ الحجّاج يجتمعون بالمدينة من آفاق شَتَّى، فيكون مع هذا بَعْضُ فوائدِه ومع هذا بعضٌ))، قال : ((فأَخْرجتُ إليه فَتعجَّب من كِتابه، كاد أن يَكتب عَلى الوجه)) - أي بتمامه.

وانظر كيف نَبُلَ إبراهيم بن المنذر في عَين الإمام ابن المديني بلقائه شُيوخ الأمصار بالمواسم، وما وقع له في ذلك مِن عوائد وفوائد، فهذا دليلٌ بَيِّنٌ على أنّ الرِّحلة تَرفع من قَدر الرّاوي، ويَعظُم في أَعْيُن طلبة الحديث وحفّاظه؛ إذْ من تجوَّلَ في الأمصار وكَتب عن مشايخ الأقطار فلا بُدّ أن يقع عنده من العلم والفوائد والأخبار مَا ليس لغيره مِمّن لم يكن مثلَه في الرّحلة، فقد روى الفسوى عن ابن وهب، قال : حدثنا مالك قال : قال عمرو بن دينار ومجاهد وغيرهما من أهل مكة : ((لم يَزل شَأْنُنا متشابهاً، متناظِرينَ حتّى خَرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلَمّا رجع إلينا استبانَ فضلُه علينا)).

وهذا الإمام مَعمر بن راشد الصّنعاني ازدادَ قدرُه وَنَبُلَ في أَعْيُن أقرَانِه لَمَّا رَحل إلى الزّهري بالشّام، قال حَمّاد بن سَلَمة : ((لَمّا رَحل مَعْمَر إلى الزّهريّ نَبُلَ، فكنّا نسمِّيه مَعمرَ الزّهريّ)).

رَحَلاتُ الصّحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ وبعد وَفَاتِه

ولما كان الحجاز يعد لبقية الأقطار الإسلامية مصدراً للمعارف الشرعيّة، ومنبعا للعلوم النبويّة، وأكبر مركزٍ للحركة العلميّة في الحديث والفقه والتّفسير كانَ لزاماً على الصّحابة أن يستشعروا عِظَم المسؤوليّة الملقاةِ عليهم، وأن يَقوموا بواجبهم تجاهَ الأمّة الإسلاميّة من تعليمهم وتفقيههم، وتفهيمهم دينَهم، فلذلك لم يألوا جُهداً في سبيل تحقيق ذلك، فكانت خلافةُ عمر ﷺ عَهْداً برزَتْ فيه بِعِثَاتٌ تعليميّةٌ يقوم بها عمر إلى غيرِ واحدٍ من الأقطار الإسلاميّة لتعليم الناس، وهو في ذلك سائر على النهج النبوي في سياسة التعليم في عهده ﷺ، فقد بعث ﷺ معاذ بن جبلﷺ (ت١٨هـ) وأبا موسى عبد الله بن قَيس الأشعريّﷺ (ت ٥٠هـ) إلى الْيَمن لِيفقها أهله، ويَنشرَا دينَ الله تعالى.

كما رافَق خروجَ الصّحابة إلى الجهاد في سبيل الله النّشَاطُ العلميّ والدَّعويّ في تلك البلاد المفتوحة، فَلم يكن الصّحابة رضوان الله عليهم يحملون معهم السَّيف فقط، وإنما كانوا ـ بحقٍّ ـ يحملون السّيف لتحرير الأمَم من الظّلم والقَهر والعُدوان، ويحملون كذلكَ العلمَ لتحرير قُلوبهم من عبودية غير الله تعالى، فَامتزَج الجهادُ بنوعَيْه؛ جهاد السِّنانِ، وجهاد الدَّعوة واللّسان.

نَزل الصّحابةُ في كثير من الأمصار الإسلاميّة آنذاك، إمّا رحلةً تعليميَّةً صِرْفَةً، أو خروجاً إلى الجهاد في سبيل الله، أو لتولّي ولايةً أو قضاءً بها. وهذا أمرٌ لا خفاء فيه لكل دارسٍ لتاريخ الجيل الأوّل، والإتيان على جميع من نزل من الصّحابة مصراً من الأمصار الإسلاميّة أمرٌ متَعسِّر إن لم يكن متعذِّراً، فمن طالع كتابَ ((الطبقات الكبرى)) لابن سعد يجدْ من ذلك شيئاً كبيراً،

ونحن إنما نَكتفي بالإشارة إلى بعض الأسماء البازرة في بعض الأمصار؛ للدلالة بها على ما وراءَها:

۞ **الكوفة** :

تَمّ فتح العراق في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٧هـ فنزل بها جماعةٌ كثيرةٌ من الصّحابة، وهَبط الكوفةَ وحدَها ثلاثمائة من أصحاب الشّجرةِ، وسبعون بدرياًﷺ ، وقد ترجم الإمام ابن سعد لمائة وتسعٍ وأربعين صحابياً ممن نزل البصرة، وسكنها ، فمن أبرز هؤلاء :

١- عبد الله بن مسعودﷺ الهذلِيّ المكيّ (ت٣٢هـ)، فقد ابتعثه الخليفة الراشد عُمر بن الخطاب ﷺ معلِّماً ومُفقِّهاً لأهل الكوفة، واختاره لهذه المهمّة لسابقته في الإسلام، وملازمته رسولَ الله ﷺ ملازمةً طويلة حَتى ظُنَّ من كَثرة دُخوله على النّبي ﷺ أنّه من أهل بيت النّبوة، فقد أخرج الشّيخان من حديث أبي موسى الأشعريّ ﷺ قال : ((قَدمتُ أنا وأخي من الْيَمن فمكثنَا حيناً، وما نرى إلاّ أنَّ عبد الله بن مسعود رَجلٌ من أهل بيت النّبي ﷺ؛ لِمَا نرى من دُخوله ودخول أمِّه على النّبي ﷺ...)).

وكان صاحبَ سرّ النّبي ﷺ، ولم يكن يُحجَب عن النّجوى ، وكانَ صاحبَ نَعْلَيْه ووسادتِه ﷺ .

عرف عمر بن الخطاب ﷺ مكانتَه من العلم، ومَعرفته بالدِّين، وكان يقول في نَعْته : ((كُنَيفٌ مُلئ علماً)) ـ وكان ابن مسعود صغير الجسم قصيرا، فقال : (كُنَيْف) مصغَّرةً ليدلّ على تَصغير جِسْمِه؛ لأنّ (كُنَيْفاً) تكبيره (كَنْفٌ) وهو شيءٌ يكون فيه أداة الرّاعِي، فأراد أنّه حافظٌ لما فيه ـ.

وقد اعتبر الخليفة عمر ﷺ ابتعاثه لأهل الكوفة إيثاراً لَهم على نَفْسه، وأرسل مَعه عمار بن ياسر (ت : ٣٧هـ) أميراً؛ فروى ابنُ سعد ـ بسند صحيحٍ ـ من طريق أبي إسحاق السّبيعي، عن حارثة بن مضرِّب الْعَبدي الكوفِيّ قال : قرأتُ كتاب عمر بن الخطابﷺ إلى أهل الكوفة : ((أمّا بعد؛ فإنّي بعثتُ عليكم عماراً أميراً، وعبدَ الله معلِّماً ووزيراً، وهما النّجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، فاسمعوا لَهمَا، واقتدوا بهما، وإنّي قد آثرتكم بعبد الله على نفسي أَثَرَةً)).

وَأناط إليه كَذلك النَّظر في بِيتِ المال.

وقد كان لهذه الْبعثة كَبيرُ أثرٍ في أهل الكوفَة، ونبغ كبارُ فقهاءِ الكوفة بابن مسعود ﷺ، وتخرّجوا على يديه، فقد أخرج ابن سعد ـ بسندٍ صحيح ـ عن منصور، عن إبراهيم النّخعي قال : ((كان أصحابُ عبد الله الذين يُقْرِؤون ويُفتونَ ستّة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعَبِيدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل)).

وإلى هؤلاء وأمثالهم يَرجع الفضل في إثراء الحركة العلميّة بالكوفة، وإمدادِ الأمصار الأخرى بالعلْم، فكانوا سُرُجاً بها ، كما وصفهم سعيد بن جبير الكوفي (قتل ٩٥هـ)؛ إذ يقول : ((كان أصحابُ عبد الله سُرُجَ هذه القَرْية ـ يعني الكُوفة ـ)).

ولعظيم أثرِهِ بالكوفة يقول عامر بن شرحبيل الشّعبي الفقيه الكوفي : ((مَا دخلها ـ يعني الكوفة ـ أحدٌ من أصحاب محمّد ﷺ أنفع علماً، ولا أفقهُ صاحباً منه)) ـ يعني ابن مسعودﷺ ـ.

٢- وممن سكن الكوفة أيضا : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن (شهيداً ٤٠هـ)، رابعُ الخلفاء الرّاشدين المهديّين، وقد سكَنها سنة ستٍّ وثلاثين، وظلّ بها إلى استشهاده، عام أربعين، وسنّه ستون سنة، أو أقلّ أو أكثر بسنةٍ أو سنتين ﷺ .

وكان ـ كغير من الخلفاء ـ حريصاً على نشر العلم والْفُتيا، رَغْمَ ما اتّسم به عهدُه من كثرة الاضطرابات وسوءِ الأحوال، لكنّه : ((لم يزل بعد النّبي ﷺ متصدّياً لنَشْر العلم والفتيا)).

وكان يحثّ على اتّباع الطّريق السّويّ في تعليم النّاس، وعدم إدخالهم فيما لا شأنَ لهم به مِن الخلافات، أو تحديثهم بالظّنون والواهيات، كما تشير إلى ذلك مقولتُه الشّهيرة : ((حدِّثوا النّاس بما يَعرفون، ودعوا ما يُنكرون، أتحبّون أن يُكذَّب الله ورسولُه)) .

علّق الحافظ الذهبيّ على هذا بقولِه : ((فقد زجر الإمام علي رضي الله عنه عن رواية المنكر ، وحثّ على التّحديث بالمشهور، وهذا أصلٌ كبيرٌ في الكفّ عن بثّ الأشياء الواهية والمنكرة من الأحاديث في الفضائل والعقائد والرّقائق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلاّ بالإمعان في معرفة الرّجال . والله أعلم)) .

۞ البصرة :

بنى البصرة واختطّهَا عتبةُ بن غَزوان المازني سنةَ ١٤هـ بأمرٍ من عُمر بن الخطّابﷺ ، ونزل بها عددٌ كبيرٌ من الصّحابة، تَرجم الإمام ابن سعد لمائة وخمسين صحابيا ممن نزل البصرةَ ، وأبرز هؤلاء :

١- عبد الله بن عَبّاس الهاشمي (ت٦٨هـ) ﷺ:

ذكر خليفةُ بن خيّاط : أنّ علياًﷺ ولّى ابنَ عباس ﷺ البَصرةَ وكان ذلك بعد وقعة الجمل عامَ (٣٦هـ) ، وظل بها لمدّة تُقَارِبُ أربعَ سنين، قبل أن يعتزل الولاية ويشْخَصَ آيباً إلى مكّة في سَنَة (٤٠هـ).

وقد تفقّه به العراقِيّون بعامّة، والبصريّون والكوفيّون منهم بخاصّةٍ، ولا سيّما أنّه كان مَعنياً بتفقيه النّاس؛ وكان يَغشى النّاس في شهر رَمضان، وهُو أمير البصرة، فما ينقضي الشّهرُ حتّى يُفَقِّهَهُم.

٢- عمران بن الحصين بن عُبيد بن خلف أبو نجيد الخزاعيّ صاحب رسول الله ﷺ، أسلم قديماً هو وأبوه وأختُه، وغزا مع رسول الله ﷺ غزواتٍ، ولم يزل في بلاد قومه، ويَنزل إلى المدينة كثيراً، إلى أن قُبض النّبي ﷺ ومُصِّرَت البصرة، فتحوّل إليها فنزلها إلى أن مات بها... .

وأخرج ابن سعد والطبراني ـ بسند صحيح ـ عن أبي الأسود الدؤلي قال : ((قدمتُ البصرةَ وبها عمران بن الحصين أبو نجيد، وكان عُمر بن الخطاب بعثه يُفَقِّه أهلَ البصرةَ)).

وكان له حلقةٌ في مسجد الْبَصرة يحدِّث النّاس فيها : فأخرج ابن سعد والطبرانيـ بسند صحيح ـ عن الأعمش ، عن هلال بن يَساف قال : ((قَدمتُ البصرةَ، فدخلتُ المسجد، فإذا أنا بشيخٍ أبيض الرّأس واللّحية، مستندٍ إلى أسطوانةٍ في حَلْقَةٍ يحدِّثهم، قال : فسألت مَن هذا ؟ فقالوا :عمران بن الحصين)).

وأخر الطبراني ـ بسند صحيح ـ عن محمّد بن سيرين قال : ((مَا قَدم البصرةَ أحدٌ من أصحاب النّبي ﷺ يَفْضُل على عمران بن الحصين)).

وأخرج عبد الله بن أحمد ومن طريقه الطبراني عن سفيان بن عيينة قال : كان الحسن يقول : ((ما سكن البصرة مثلُ عمران بن حصين)).

قال أبو حاتم البستي : ((سكَن البصرةَ، حَديثُه عند أهلِها)). مات سنة اثنتين وخمسين.

۞ الشّام :

دَخله عددٌ كبيرٌ مِن الصّحابة؛ فقد أخرج أبو طاهر السِّلَفي ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عَن الوليد بن مُسلم أنّه قال : ((دَخَلَتِ الشَّامَ عَشرةُ آلافِ عَيْنٍ رَأَتْ رَسولَ الله ﷺ)).

وقد ترجَم ابنُ سعدٍ في ((الطَّبقات)) لـ ١١٤ صحابياً نزلوا الشَّام.

ومن بينهم :

١- أبو الدّرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاريّ الخزرجي (ت٣٢هـ) رضي الله عنه:

من أفاضل الصّحابة، وهو أحد الستَّةِ الّذين جمعوا القرآنَ في عهد النَّبي ﷺ، حفظ القرآن عَن رسول الله ﷺ، وكان عالِمَ أهلِ الشَّام ومقرِيءَ أهلِ دِمشق، وفقيههم، وقاضِيهم روى جملةَ أحاديثَ .

بعثه عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى دمشق وولي بها الْقَضاء.

وكان يؤُم النّاس في القيام، ويَعظُهم في مسجد دِمشق، ويُكثِر من التّحديث عن رسول الله ﷺ حتّى مَنعه عمرُ خشيةَ أن يَصُدّ النّاس بذلك عن القيام بحقّ القرآن، وقد مَرّ بيانُ ذلك وتوضيحُ علَّتِه.

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : ((وهذَا من عُمر لم يكن عَلى وجه الاتِّهام لَهم، وإنّما أراد إقلالَهم الرِّوايةَ لئلاّ يَشتغلَ النّاس بما يسمعونه منهم عن تَعلُّمِ القرآن)).

ومعَ ذلك فقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه شديدَ التَّحرّز في حديثِه عن رسول الله ﷺ؛ فقد روى ربيعة بن يَزيد، عن أبي الدرداء، أنّه كان إذا حدّث بالحديث عن رسول الله ﷺ قال : ((اللَّهُمّ إنْ لاَ هَكَذَا، فَكَشَكْلِه)).

مات أبو الدَّرداء رضي الله عنه بالشَّام سنةَ اثنتين وثلاثين.

٢- عبادةُ بن الصّامت بن قيس بن أَصْرم أبو الوليد الأنصاريّ الخزرجيّ رضي الله عنه:

أوّل من وَلِي القَضاء بفلسطين . وكان الخليفة الراشد عُمَر رضي الله عنه أَخرجه إليها مُعلِّما :

روى ابن سعد والبخاري من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرة، عن محمّد بن كعب القُرَظي : قال ((جمع القرآنَ في زمن النّبيّ ﷺ خمسةٌ من الأنصار : معاذُ بن جَبل، وعُبادَةُ بن الصَّامت، وأُبَيّ بن كَعب، وأبو أيّوب، وأبو الدّرداء، فلما كان عُمَر، كَتب يزيد بن أبي سُفيان : أنّ أهلَ الشَّام كَثُرُوا واحتاجوا إلى من يعلِّمُهُم القرآنَ، ويَفقِّهُهم، فقال عمر : "أعينوني بثلاثة". قالوا : هذا شيخ كبير - لأبي أيّوب -، وهذا سقيم - لأبُيّ - فخرج معاذٌ، وعبادةُ، وأبو الدّرداء، فقال : ابدؤوا الْحِمْصَ، فإذا رَضيتم منها، فَلْيَخْرج واحدٌ إلى دمشق، وآخر إلى فَلسطين، فأقام بها عُبادة، وخرج أبو الدّرداء إلى د مشق، ومعاذٌ إلى فلسطين، فمات بها، ولم يزل معاذ بها حتى مات عامَ طاعون عَمْواس، وصار عُبادة بَعدُ إلى فلسطين، فمات بها، ولم يزل أبو الدّرداء بدمشق حتّى مات)).

وكان عبادة بن الصّامت قائماً بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا تَأخذه في ذلك لومةُ لائم

تُوفي بالرملة من الشّام ، قيل : إنه توفي سنة ٣٤هـ. لكن قال الحافظ ابن حجر : ((أورد ابنُ عساكر في ترجمته أخباراً له مع معاوية تدلّ على أنّه عاش بعد ، وبذلك جزم الهيثم بن عدي وقيل : إنه عاش إلى سنةِ خمسٍ وأربعين)).

۞ مصر :

نزل بها من الصّحابة كثيرون، ذكر ابن سعد أخبارَ عددٍ كبيرٍ منهم، عدّتُهم اثنان وثلاثون صَحابياً .

منهم :

١- عبد الله عمرو بن العاص بن وَائل بن هاشم القرشيّ السّهمي (ت٦٣هـ) :

أسلم قَبل أبيه، كان غزير العلم ، مجتهدا في العبادة.

وقد كان كتب أحاديث رسول الله ﷺ بإذنه، وأودعها صحيفةً كانت عنده، سَمّاها (الصّادقة)، احتفظ بروايتِها آلُ عَمرو بن العَاص.

كان مع أبيه بمصر، إذ تولّى أبوه عمرو بن العاص فَتْحَها في عهد عمر ﷺ، وولاّه عليها عُمر إلى وَفاته، ثمّ ولاّه عُثمان، وخرج مع أبيه إلى مِصر.

لكن قال الحافظ ابن حجر : ((مات في ذي الحجة، ليالي الحرّة على الأصحّ، بالطّائف على الرّاجح)) . وكان ذلك في سنة٦٣هـ.

٢- عُقبة بن عامر بن عِيسى الجهني، صَحب النبي ﷺ .. وتحوّل إلى مصر بعد صفِّين ، فنزلها وابتنى بها داراً، وتُوُفِّي في آخر خلافة معاوية ، ودفن بالمقطّم، مقبرة أهل مصر.